مركز الفكـــر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies
دراسات

الإعلام الالكتروني

ودوره في الصراعات الدولية

وحدة الدراسات والبحاث

مركز الفكـــر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

تقديم

تُعدّ صياغة الرأي العام في المجتمعات وتشكيله من الأدوار الرئيسية التي تضطلع بها وسائل الإعلام، ويتضاعف ذلك مع التطورات النوعية المتزايدة التي نشهدها بشكل متسارع في مجالات تقنية الاتصالات، التي منحت وسائل الإعلام إمكانات وقدرات هائلة في التأثير في الآخرين وتغيير المفاهيم، وهو ما جعل منها عاملاً رئيساً من العوامل المؤثرة في صناعة الرأي العام إن لم يكن أهمها.

لكن إضافة إلى مسألة تشكيل الرأي العام برز دور مهم للإعلام الإلكتروني بتشكيل الرأي العام لقطاعات بشرية واسعة ومتنوعة أكبر كثيراً من القطاع البشري المحلي الذي كانت تخاطبه وسائل الإعلام التقليدية؛ فوصل تأثير الإعلام الإلكتروني من أقصى الأرض إلى طرفها الآخر، ومن ثم استطاعت الدول والمؤسسات التي تمتلك تكنولوجيا عالية، وتفوقاً كبيراً في امتلاك أدوات الإعلام الإلكتروني، تصدير وجهة نظرها وفرضها، والتغلغل بعمق داخل شرائح بشرية واسعة هنا وهناك.

لكن في نفس الوقت فإنه لسهولة التعامل مع الإعلام الإلكتروني، وأيضاً لسهولة تعلمه، لم يعد امتلاكه حكراً فقط على الدول والمؤسسات الكبيرة، بل أصبح التعامل معه وتطويره بيد الأفراد والمؤسسات والتنظيمات السياسية المختلفة، ومن هنا أعطى الإعلام الإلكتروني للأفراد والتنظيمات أداة لم تكن تمتلكها سوى الدولة، وهو الإعلام الموجه الذي كان حكراً على نظم سياسية ظلّت تغسل عقول شعوبها مدة طويلة، فصار ينازعها، إن لم يكن يسبقها، الأفراد والمؤسسات بشكل كبير للغاية في الترويج لسرديّات مختلفة تناقض سرديَّة النظام/ الدولة التي تقدمها لشعبها.

ومن ثَمَّ فقد تطور الأمر كثيراً ليصبح الإعلام الإلكتروني مساحة كبيرة، أولاً لنقل المعلومات والأخبار جنباً إلى جنب مع وسائل الإعلام التقليدية، حتى إنه بات مؤخراً متقدماً عليها بشكل كبير في نطاقات متعددة؛ وثانياً، تطور جزء من الإعلام الإلكتروني ليصبح أداة لنقل بيانات خاصة بالمجال الاقتصادي مثل البطاقات الإلكترونية، والإيداع في البنوك والسحب، وتعاملات البورصة، ونقل الودائع لبنوك عبر البحار وغيرها؛ وثالثاً، أصبح الإعلام الإلكتروني ساحة مهمة للتجسس الصناعي، وسرقة التكنولوجيا، والترويج لمفاهيم وعقائد وإيديولوجيات مختلفة، ودعم قضايا بعينها دوناً عن قضايا أخرى، وبذلك صار (الإعلام الإلكتروني) بمنزلة الساحة والوسيط الجديد الذي تدور عليه ومن خلاله صراعات متعددة، صراعات دول مع دول، وأفراد مع دول، وجماعات مع جماعات أخرى أو جماعات ضد دول، وأصبح (الإعلام الإلكتروني) ساحة لاندلاع ثورات ودعمها، أو ربما ساحة لقمع ثورات وتفكيكها، ساحة لنشر مآسي أقليات دينية أو عرقية ومذابحها في نزاعات ما، أو تغطية مذابح أو صراعات في نزاعات أخرى.

في هذه الورقة سنناقش مسألة ارتباط الإعلام الإلكتروني بالصراعات الدولية وعلاقته بها، وذلك بمناقشة عدة أسئلة وفرضيات مهمة عن دور الإعلام الإلكتروني في الصراعات الدولية، واستخدام الحرب الإلكترونية من قبل دول ومؤسسات مختلفة في شن حروب سياسية واقتصادية، وتحول الإعلام الإلكتروني لقوة ناعمة مهيمنة، وتوسع استخدام الإعلام الإلكتروني غير مقتصر على الدول والمؤسسات الكبرى، ومدى مساهمة ذلك في توسع أكبر للأفكار ولامركزية المواجهة.

ستناقش الدراسة كل هذه الأطروحات في المحاور الآتية:

- المحور الأول: عصر المعلوماتية والثورة المعرفية الجديدة.
- المحور الثاني: الإعلام الإلكتروني والتأثير في الرأي العام.
- المحور الثالث: العالم العربي ومواقع التواصل الاجتماعي.
- المحور الرابع: الإعلام ودوره في الصراعات الإقليمية.
- المحور الخامس: مواقع التواصل الاجتماعي والدبلوماسية السياسية.
- المحور السادس: الإعلام الإلكتروني.. سلطة المؤسسات والأفراد.

أولاً: عصر المعلوماتية والثورة المعرفية الجديدة

خلال السنوات القليلة الماضية مرَّت أغلب دول العالم بمرحلة انتقالية مهمة غيَّرت من تركيبتها الاقتصادية والاجتماعية، وأعادت هيكلة القوى العاملة بها وتشكيلها، ونقلها مما كان يعرف بعصر الثورة الصناعية إلى عصر جديد يسمى عصر ثورة المعلومات.

إن مجتمع المعلومات هو المجتمع الذي يعتمد اعتماداً أساسياً على المعلومات الوفيرة كمورد استثماري، وكسلعة استراتيجية، وكخدمة، وكمصدر للدخل القومي، وكمجال للقوى العاملة؛ مستغلاً في ذلك إمكانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتطورة كلها، وبما يبين استخدام المعلومات بشكل واضح في أوجه الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بغرض تحقيق التنمية المستمرة وتحسين نوعية الحياة للمجتمع وللأفراد[1].

يعتمد اقتصاد المعلومات على نظام هائل ومعقد داخل الدول الصناعية وفيما بينها، وينبني هذا النظام على التسهيلات التي أتاحتها التكنولوجيا في النصف الثاني من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، وتكمن طاقة هذا النظام الإلكتروني الجديد في القدرة على جمع البيانات وتصنيفها وتخزينها واسترجاعها وبثها بأكبر كميات ممكنة لأكبر عدد ممكن من الأفراد وفي أقل وقت ممكن مهما كانت المسافة. ويعتمد مجتمع المعلومات المنظم على الاتصالات الفورية من الأنواع كلها، ومن بينها القدرة على الاتصال عبر المسافات البعيدة.

ومع تطور وسائل الاتصال الإلكترونية وتعدد خدماتها، أصبحت ظاهرة الاتصال عن بُعد إحدى الظواهر المهمة في إدارة شؤون المجتمعات الحديثة، كما أدى امتزاج تكنولوجيات الحاسب مع تكنولوجيا الاتصال عن بعد إلى خلق عصر جديد يعتمد على النشر الإلكتروني، ونتج عن ذلك ظهور العديد من وسائل الاتصال والنشر والإعلام الجديدة[2].

يمكن تشبيه ما حدث في الأعوام القليلة الماضية بما حدث تقريباً بعد اختراع آلة الطباعة على يد غوتنبرغ، وما أعقبها لاحقاً من ثورة معرفية كبيرة عمَّت أوروبا نتيجة لاندثار عصر النسخ، وبداية عصر الطباعة، وانتشار الكتب بشكل كبير، ومن ثم كانت تلك الخطوة بداية مهمة لدخول أوروبا عصر النهضة، وحدوث تحولات أكبر، سياسية واجتماعية واقتصادية، أدخلت أوروبا عصراً مختلفاً للغاية عن عصور القرون الوسطى؛ فالطباعة أسهمت في الحفاظ على التراث العلمي والأدبي للإنسان، كما أسهمت في انتشار المعرفة، وكذلك ساعدت على ظهور ونشأة الصحافة، كما أتاح

1 سميرة شيخاني، **الإعلام الجديد في عصر المعلومات**، مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، سوريا، المجلد 26- العددان 1 و2، 2010، ص436 (بتصرف).

2 المصدر السابق، ص 436 (بتصرف).

التطور التقني في القرن التاسع عشر توطيد القدرة الاتصالية من خلال أجهزة النقل السريع مثل الخطوط الحديدية، وظهور التلغراف، ومن ثم اختراع الهاتف.

وفيما يخص الاتصال الجماهيري فقد اكتُشِفَت الموجات التي تحمل نقلاً صوتية لمسافات طويلة، والتي مهدت لظهور المذياع، فأصبحت الأخبار تُنقل إلى كل مكان في العالم بسهولة ويسر، وتوالت الاختراعات حتى تمكنت من تحسين قدرة الكاميرا على التقاط الصور البصرية المتحركة، وإنتاج الصورة المتحركة، وظهر التلفاز، وتشكل ما نسميه الآن بالوسائل الإعلامية الإلكترونية.

أدت التطورات الحادثة في عالم الإنترنت إلى ظهور ما يعرف بالصحيفة الإلكترونية؛ وهي الصحف التي تصدر وتُنشَر من خلال شبكة الإنترنت، وتكون على شكل جرائد مطبوعة على شاشات الحواسيب الإلكترونية. أو هي الصحف التي تصدر وتنشر من خلال شبكة الإنترنت العالمية، أو غيرها من شبكات المعلومات، سواء كانت نسخة أو إصداراً إلكترونياً لصحيفة مطبوعة أو لصحيفة ليس لها إصدار مطبوع، وسواء كانت عامة أو متخصصة، وسواء كانت تسجيلاً دقيقاً للنسخة الورقية، أو ملخصات للمنشور بها، ما دام أنها تصدر بشكل منظم، أي إن مضمونها يحدَّث من يوم لآخر ومن ساعة لأخرى، أو من حين لآخر حسب إمكانيات جهة الصدور.

برزت مواقع الإعلام الإلكترونية بشكل كبير في الأحداث العالمية الضخمة، وبعدما كانت الفضائيات لها اليد الطولى في نقل أحداث كبيرة، مثل نقل (السي إن إن) لحرب الخليج، وبعدها أفغانستان وغزو العراق، بدأ الإعلام الإلكتروني رويداً رويداً بمنافسة الفضائيات ليفوز معها بقصب السبق في نقل الأخبار المهمة، ثم ليتجاوزها في أحيان كثيرة، فقد راقب العالم تغطية وسائل الإعلام الجديدة للانتخابات الرئاسية الأمريكية في 2008، كما برز دورها أيضاً في الانتخابات الإيرانية عام 2009، كذلك تطورات الأزمة المالية العالمية في 2008.

ثم يقفز الإعلام الإلكتروني ليحتل المرتبة الأولى، أغلب الوقت، من خلال مساهمته لا في تغطية أحداث الثورات بل حتى المشاركة فيها كأداة قوية في حشد الجماهير؛ مثلما حدث في (ثورات الربيع العربي) واستخدام الإعلام الإلكتروني بوسائله المختلفة عن طريق تنظيمات إسلامية مسلحة، مثل تنظيم الدولة، أو حضور وسائل إعلامية إلكترونية في حشد وحشد مضاد، مثلما حدث في الانقلاب التركي الأخير، حينما دعا الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، لإسقاط الانقلاب العسكري عبر (سكايب) بعد محاصرة المؤسسات الإعلامية التقليدية.

ثانياً: الإعلام الإلكتروني والتأثير في الرأي العام

أسهمت الثورة العلمية الحديثة في تكنولوجيا الاتصال وتنظيم المعلومات في إحداث تغيير جوهري في مفهوم الإعلام، وأدت الثورة التكنولوجية أيضاً إلى لفت انتباه الحكام إلى ظاهرة (الرأي العام) بشكل أكبر، بل وتعاظم حضوره من خلال المنصات المستقلة من خلال التدوين الشخصي، وامتلاك مجموعات كثيرة من الأفراد لمواقع خاصة يمررون من خلالها آراءهم الخاصة.

وقد تعاظم تأثير الإعلام الإلكتروني على الساحتين المحلية والدولية، ومن هنا ظهرت أهمية استخدامه كأداة من أدوات التعبئة والحشد لقضايا ومفاهيم تروج لأجندات بعينها، ومن ثم تدوير هذه الأخبار على مواقع إلكترونية إخبارية أخرى لخلق أزمة سياسية كبيرة، أو مواقع إلكترونية تعمل على فضح وتسريب معلومات استخباراتية أو غيرها، مثل (موقع ويكليكيس)، وهكذا.

كذلك أسهم الإعلام الإلكتروني بشكل كبير في الترويج لعقائد ومفاهيم أيديولوجية بعينها، إذ استخدمت المواقع الإلكترونية للدعوة والتبشير بالأيديولوجيات والأديان والعقائد المختلفة.

ومن الأبعاد التي نتجت عن الثورة التكنولوجية أيضاً تطور العلوم الاجتماعية والنفسية التي أعطت بعداً جديداً لمفهوم النشاط الإعلامي؛ فالعصر الذي نعيشه عصر الدعاية بامتياز، والدعاية ترتكز على الإعلام، وقد ازدادت وسائل الإعلام بشكل كبير للغاية عن الفترات الماضية، ولما كانت وسائل الإعلام والدعاية التي عرفتها البشرية تعتمد على غريزة حب الاستطلاع والفضول الإنساني، فإنه كلما كثرت وتعاظمت وسائل الإعلام وتطورت مع الوقت كان مهماً الاستفادة بشكل كبير من مفاهيم ونظريات العلوم الاجتماعية والنفسية لتحديد شكل سلوك الجمهور المخاطب، وتحديد شكل المنتج المناسب المراد توصيله إليه، وكذلك شكل الرسائل الموجهة إليه، وأيٌّ منها قد يؤثر وأيٌّ لا.

للإعلام دور كبير في التأثير في الرأي العام والجمهور، ويعمل في تشكيل هذا الرأي وفقاً لأجندته. ويعرف الرأي العام بأنه مجموعة الآراء التي يتبعها الناس في الشؤون التي تؤثر في المجتمع أو تهمه، هذا الرأي العام تحاصره مجموعة كبيرة للغاية من المعلومات المتناقضة والمعتقدات والأوهام والأفكار المبتسرة والتطلعات، فهو حائر ومفكك يفتقد للتبلور، كما أنه يتغير من يوم ليوم ومن أسبوع لأسبوع، وهذا يرجع إلى طبيعة الجمهور، ولذا فهناك علاقة بين طبيعة الجمهور والرأي العام.

كل هذه الأمور جعلت السلطة تفرض أنواعاً عديدة من القيود على وسائل الإعلام، سواء المملوكة للأفراد أو الجماعات؛ وذلك للحفاظ على طبيعة حكمها. واتخذت هذه القيود أنواعاً وأشكالاً مختلفة؛ فمنها قيد الترخيص، وذلك باستحداث جهة أو هيئات

تمنح تراخيص ممارسة الصحافة أو الإعلام، كما يدخل في صميم عملها أيضاً توقيع العقوبات على الناشرين الذين يخرجون عن الأطر التي تضعها الحكومة، أو الذين يتضح أنهم ليسوا من أهل الثقة. يأتي بعد قيد الترخيص قيد الرقابة؛ حيث تعين الدولة ممثلين لها للإشراف الدقيق على ما ينشر في الصحف أو البرامج. وثالثها قيد المحاكمات العامة؛ حيث توجه الدولة تهماً كثيرة وخطيرة لمالكي الصحف والقنوات التلفزيونية، ومنها الانقلاب على الدولة، أو المشاركة في نشاط هدام يؤدي إلى الانقلاب. وثمة قيد الأموال السرية الذي تمنح من خلاله الدولة أصحابَ الصحف أموالاً سرية لتشتري به ذمم بعض الصحفيين كي يروجوا لسياستها بعيداً عن الصحف الرسمية. وأخيراً ثمة قيد الضرائب؛ إذ تلجأ الدولة إلى هذا النوع من القيود على الصحف التي تبدو أكثر استغناءً عن الحكومة بما تملكه من انتشار واسع وجرأة على النقد، فتثقل الحكومة كاهلها بما تفرضه من ضرائب تضطر القائمين عليها إلى التخفيف من لهجة النقد وحدته.

هناك ارتباط بين الإعلام الداخلي والإعلام الدولي، فقد يحدث أن تركز الدولة على أمور للاستهلاك المحلي ولكنها- في الوقت نفسه- قد تضر بالإعلام الدولي، وذلك حين تعمد وسائل الإعلام الدولية، كوكالات الأنباء، إلى نقل هذه المسائل إلى مختلف أنحاء العالم، وهو ما قد يضر بسياسة الدولة المعنية، ويرجع ذلك إلى التطور في وسائل الإعلام، وإلغاء الحواجز بين مختلف دول العالم[3].

لكن الحقيقة أن هذه القدرة على التحجيم قلَّت بشكل كبير مع صعود (الإعلام الإلكتروني)، فلا ريب أن الدول والحكومات لا تزال قادرة على وضع عراقيل تلو الأخرى على وسائل الإعلام التقليدية، بل في بعض الأحيان حتى على وسائل الإعلام الإلكتروني، لكن مقارنة هذا التحجيم تقل بشكل كبير لحساب الإعلام الإلكتروني، حيث يصعب بشكل كبير فرض وسائل رقابة مع التقدم التقني الهائل الذي يتيح تجديداً دائماً لوسائل نفاذ إلى (الرأي العام) بمواقع وتطبيقات مختلفة؛ مثل مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، وبرامج تتيح كسر (الحجب الإلكتروني) الذي تفرضه بعض الحكومات على مواقع بعينها، وكذلك إتاحة مواقع كثيرة لمدونين لهم القدرة على إنشاء مواقعهم الشخصية وإدارتها بأنفسهم، ومن ثم سيصبح لكل مدون صغير القدرة على النفاذ للرأي العام بموقعه الشخصي، وقد تتعدى- في بعض الأحيان- زيارات هذه المدونات والمواقع الشخصية زيارات صحف قومية أو خاصة معروفة، مثل مواقع ومدونات المدونين المشهورين، أو صحفات المؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي في فيسبوك وتويتر وإنستغرام وغيرها.

3 عبد اللطيف حمزة، **أزمة الضمير الصحفي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 43.

ثالثاً: العالم العربي ومواقع التواصل الاجتماعي

منذ نهايات القرن العشرين وبدايات الألفية مروراً بالسنوات الأخيرة تطور الإنترنت تطوراً هائلاً، وزاد بشكل كبير للغاية حجم المشتركين على مواقعه المختلفة، والمتعاملين معه، ليصلوا إلى المليارات، وفي العالم العربي زاد أيضاً عدد المتعاملين مع الإنترنت، خصوصاً من الأجيال الصغيرة، ثم زاد الأمر بشكل أكبر مع الربيع العربي الذي أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي بدور في تحريك انتفاضاته.

مهم هنا تعرُّف خريطة التفاعل العربي مع الإعلام الإلكتروني، وتأثرهم به، ونوعية القضايا التي تشغلهم، ومدى التأثر الذي تركه الإعلام بشكل عام على تفعيل دور شرائح مختلفة من مواطني العالم العربي نحو قضايا بعينها.

ثمة مشروع بحثي مهم للغاية صدر عن جامعة نورث ويسترن (Northwestern University) في 2015، هذا التقرير- الذي كان بعنوان التعامل مع الإعلام الجديد (النيوميديا) في الشرق الأوسط- يحلل تعامل العرب مع وسائل الإعلام، وكيفية تأثيرها في السلوك السياسي والاجتماعي في العالم العربي.

الدراسة شملت 6000 عينة من مختلف التوجهات والأعمار في ستة بلدان هي السعودية وقطر والإمارات ولبنان ومصر وتونس، وقد اشتملت على 3 محاور: وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام ودورها في حرية التعبير والتحفيز السياسي، ومدى مصداقية قنوات الأخبار لدى المشاهد العربي.

تظهر أهمية التقرير في تحليله للشرائح العمرية المختلفة التي تتعامل مع الإنترنت، ومستويات هذا الاستخدام، وكذلك ترصد أهم المواقع الأكثر انتشاراً، والقضايا التي تهم المواطنين العرب دوناً عن قضايا أخرى، كما يرصد الاستطلاع تعامل المواطنين مع الأخبار القادمة من وسائل التواصل الاجتماعي، وشكل التواصل بين المواطنين من خلال هذه الوسائل، وتفاعل المواطنين حيال قضية الرقابة على الإنترنت من قِبل الحكومات، ومصداقية قنوات الأخبار لدى المتابع العربي بالمقارنة بوسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت، وغيرها.

أظهر التقرير أن 95% تقريباً من مستخدمي الإنترنت يستخدمون إحدى وسائل التواصل الاجتماعي، 79% منهم يستخدمونها بشكل يومي ولمرة واحدة على الأقل، وأن موقعَي فيسبوك وواتس أب الوسيلتان الأكثر انتشاراً بين العرب؛ ويسيطر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك على النسبة الكبرى من المستخدمين في مصر وتونس، أما واتس أب فهو المسيطر في لبنان والإمارات وقطر، وهو الوحيد الذي تستخدمه شريحة عمرية واسعة، على عكس الوسائل الأخرى التي تختلف نسبة استخدامها بحسب الفئات العمرية، ويحافظ فيسبوك على صدارته بين وسائل

التواصل الاجتماعي في العالم العربي بصفته وسيلة للتعبير عن الآراء السياسية، ومن المؤكد أن استخدام تويتر في الخليج أكبر بالمقارنة مع دول عربية أخرى مثل مصر[4].

60% من العينة قالوا إن وسائل التواصل الاجتماعي تزيد من تواصلهم مع الأصدقاء والعائلة، 41% منها أجابوا أن هذه الوسائل تزيد من تواصلهم مع الأشخاص الذين يشاركونهم في المعتقدات الدينية والآراء السياسية. ولم تتغير نسبة العينة التي تدعم حرية التعبير على الإنترنت منذ عام 2013 في لبنان وقطر والإمارات ومصر، وقلّت نسبة الداعمين لها بشكل طفيف في تونس والسعودية.

وبالرغم من كون الإنترنت وسيلة التواصل الأساسية لدى المستطلَعين، فإن معظم أفراد العينة يدعمون وجود سقف لحرية التعبير على الإنترنت، النسبة العليا لتلك الأصوات كانت في السعودية وتونس والإمارات. كما أظهرت الدراسة أن 44% من العينة يعتقدون أن المواطن يجب أن يكون حراً في انتقاد نظام بلده، في حين أن 24% غير راضين عن ذلك، وأظهرت السعودية وتونس نقصاً ملحوظاً في عدد الأفراد الداعمين لحرية التعبير على الإنترنت خلال السنتين الماضيتين.

وقد أظهرت الدراسة أن العينة العمرية الشابة عموماً هي الأكثر استخداماً للإنترنت، بالخصوص مواقع التواصل الاجتماعي، والأكثر أيضاً دعماً لحرية التعبير على الإنترنت من الفئات الأكبر عمراً، كما أن دعم حرية التعبير يزداد بشكل ملحوظ مع ارتفاع مستوى التعليم لدى الفرد[5].

كما خلصت الدراسة أيضاً إلى أن معظم الأفراد الذين يعتقدون أن الإنترنت يمكن أن يحدث تغييراً في القرار السياسي هم أنفسهم الذين أبدوا قلقاً من مراقبة الحكومات لنشاطاتهم على الإنترنت. والأشخاص الأكثر نشاطاً على مواقع التواصل الاجتماعي كانوا أكثر قلقاً من موضوع الرقابة من الأشخاص الأقل نشاطاً. ووجدت الدراسة أن الأفراد المقيمين في البلاد العربية من غير العرب، أكثر قلقاً إزاء موضوع الرقابة من المواطنين الأصليين في تلك البلاد، وعزت الدراسة ذلك إلى أن سمعة البلدان العربية بأنها من أكثر البلدان في العالم مراقبةً لأنشطة المواطنين الإلكترونية، جعلت الوافدين إليها أكثر حرصاً وقلقاً من المواطنين أنفسهم[6].

4 Everette E. Dennis "and others", media use in the middle east, Northwestern University website (2015), check the link at 12, September 2017, Page 19: https://goo.gl/M7LuE6

5 Ibid, pages 23- 13.

6 Ibid, pages 23- 13.

يظهر من الدراسة السابقة أن معدلات التعامل مع الإنترنت والإعلام الجديد (النيوميديا) تتزايد بشكل كبير للغاية في العالم العربي، وأن الأجيال الجديدة أكثر استيعاباً لهذه التطورات من الأجيال الأكبر سناً، وأن مسألة الحريات والتعبير عن الرأي صارت أمراً ملحاً، بالخصوص في دول طالتها موجة (الربيع العربي).

ثمة إيمان واضح بأن الإنترنت هو حيز جديد للتفاعل يؤثر في المجالات السياسية المختلفة بالبلدان العربية، وأن الحكومات ذاتها بدأت تتخذ ردود أفعال مضادة حيال هذا الحيز؛ بفرض مزيد من الرقابة على الشعوب لتحجيم النشاط الذي يتسع على الإنترنت.

إن الإنترنت ذاته أعطى مساحة للتعبير عن الرأي لم تكن متاحة قبل ذلك، لعدم قدرة الحكومات على التحكم بشكل كامل في منافذ المواقع الإلكترونية المهولة التي تنتشر بشكل مهول، ولوجود مراكز هذا العالم خارج سيطرة هذه الحكومات.

رابعاً: الإعلام ودوره في الصراعات الإقليمية

يمكن القول إن هناك نوعين من الإعلام، وفقاً للتقسيمات التقليدية في علوم الإعلام والاتصال، أولها: الإعلام الداخلي، وهو الإعلام الموجه من قبل النظام/ أو الدولة للشعب داخل الدولة (وإن تعرضت هذه المعادلة للاختراق والتكسير بعد توسع وسائل الإعلام الجديد، وطغيانها على وسائل الإعلام التقليدي)، وهناك الإعلام الخارجي، وهو الإعلام الموجه من قبل دولة إلى دولة أخرى، ومن خلال هذا الإعلام يمكن عكس وجهة نظر الدولة ونظامها وسياساتها، وقوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية.

قديماً كان الإعلام الخارجي يعتمد على فكرة البيانات، والمؤتمرات، والصحافة، والكتب المطبوعة، ثم تطور مع الوقت مع اختراع التلفاز، ثم تطور بشكل أكبر مع بروز الفضائيات، وهكذا، وكلما كانت الدولة تمتلك إعلاماً أفضل وأكثر انتشاراً يصبح تأثيرها في شعوب أخرى، ودول حليفة ومعادية، أقوى، وهنا يمكن الحديث مثلاً عن التأثير الإعلامي لإذاعة (صوت العرب) في الخمسينيات والستينيات، وما أحدثته من دعاية للنظام الناصري في مواجهة خصومه في أثناء النزاعات الشهيرة التي دخل فيها مع السعودية والعراق والأردن، على سبيل المثال، أو بروباغندا النظام النازي ضد الحلفاء في أثناء الحرب العالمية الثانية، التي أسس لها جوبلز، وزير إعلام هتلر، أو دعاية الإعلام الأمريكي ضد الاتحاد السوفييتي في أثناء الحرب الباردة، وغيرها.

يلاحظ هنا أن الإعلام بهذا الشكل المطروح- سواء الإعلام الداخلي أو الخارجي- كانت لا تمتلكه سوى الدولة، والمؤسسات الخاصة الكبرى، وبشكل أقل كانت الأحزاب أو التنظيمات المعارضة تمتلك بعض هذه الأدوات، كالصحف أو المجلات والفضائيات الخاصة.

تدريجياً أصبح الإعلام الخارجي يستخدم وسائل تكنولوجيا المعلومات، ومن أهمها معدات وبرمجيات الحاسوب، والألياف الضوئية، والأقمار الصناعية، والفضائيات، والتكنولوجيا الرقمية، وأدى توظيف تلك الوسائل جنباً إلى جنب مع ثورة الإنترنت إلى زيادة تحكم الإعلام في سلوك الآخرين، وفي تكوين اتجاهاتهم وتعديلها، وتشكيل أفكارهم وتوليدها، لا سيما أن الإنترنت أصبحت موسوعة علمية لجميع المستخدمين والمستفيدين، وهي تعد حيزاً افتراضياً واسعاً يتم فيه إنتاج المعلومات وتوفير البيانات وإحداث التفاعلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وزيادة خيارات اتخاذ القرارات[7].

لا ريب أنه مع زيادة التوسع في استخدام التكنولوجيا في (الإعلام الخارجي) تغيرت معادلة الصراع القديمة كثيراً، فقد زاد تأثير الإعلام الإلكتروني كقوة ناعمة، وتحول إلى أداة لبث إشاعات اقتصادية وسياسية يمكن أن تزلزل اقتصادات دول كبيرة، كالإشاعات التي تروَّج حول شركة عابرة للقارات فتؤدي تلك الإشاعات لتدهور أسهمها في البورصة. وقد أصبح الإعلام الإلكتروني ساحة مواجهة لنقل أخبار بعينها عبر مواقع تجسس، أو مواقع ناقلة لمعلومات سرية مثل ويكليكس لزرع عدم الثقة بسياسة دولة بعينها.

تطور إذن الصراع في العالم بتطور أدوات المواجهة، وانتقل الإنسان من استخدام المنجل والفأس إلى استخدام خوارزمية لبرنامج حاسوبي لإنشاء تطبيق يوجه مجموعة كبيرة من الصواريخ من قارة لقارة، أو موقع على الإنترنت تؤثر في أجيال كاملة لشعوب مختلفة الثقافة.

لكن لو تحدثنا بشكل تفصيلي عن علاقة التكنولوجيا بالصراعات فنستطيع أن نقول إن الإنسانية في صراعها نحو البقاء للحصول على بيئات طبيعية سعت لاستكشافها واستغلالها وفرض نفوذها عليها، بدأت من الأرض أو الإقليم البري، ومع التوسع في الإقليم البري استطاع الإنسان أن ينطلق إلى بيئة أخرى وهي البحر أو الإقليم البحري، ومع تطور التكنولوجيا الحديثة والتطور من المشي إلى السيارات والدبابات ومن المراكب الشرعية إلى السفن البخارية ثم الغواصات النووية، أصبح للتكنولوجيا دور هام في حسم المعارك الحربية، فظهرت أهمية القوة البحرية إلى جانب القوة البرية، ومع التطور التكنولوجي أمكن القفز إلى بيئة طبيعية أخرى وهي الجو أو الإقليم الجوي، وبدأت تحلق فيه الطائرات، وظهرت أهميتها في تدمير مواقع العدو والتمهيد للمعارك الحربية، ومع التطور التكنولوجي المذهل في عالم الطيران والصواريخ أمكن استغلال بيئة طبيعية جديدة وهي الفضاء الخارجي، من خلال الأقمار الصناعية[8].

7 معتصم مهدي أبو شتال، دور برامج الإعلام في تنمية الوعي الأمني ومكافحة الإرهاب (المعوقات والتحديات)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 25 يونيو/حزيران 2012، ص15.

8 إيهاب خليفة، القوة الإلكترونية وأبعاد التحول في خصائص القوة، سلسلة أوراق، مكتبة إسكندرية، إسكندرية، العدد رقم 12، ص 7، 2014:

وعلى الرغم من أن الفضاء الخارجي لم يستَغَلَّ عسكرياً أو تجارياً مثلما استُغلَّت البيئات الثلاث السابقة، فإنه يشكل محوراً هاماً في ربط هذه البيئات بعضها ببعض، حيث تتزايد أهميته في عالم الاتصالات والمعلومات، وبفضل ثورة المعلومات.

ومع ظهور الإنترنت ومواقع الويب ظهرت لدينا بيئة أخرى وهي الفضاء الإلكتروني، وعلى الرغم من أنها تختلف عن طبيعة البيئات السابقة بكونها من صنع الإنسان، فإن لديها خصائص تشترك فيها مع البيئات السابقة. أصبح الفضاء الإلكتروني أحد العناصر الرئيسية التي تؤثر في النظام الدولي بما يحمل من أدوات تكنولوجية تمارس دوراً هاماً في عملية التعبئة والحشد في العالم، فضلاً عن التأثير في القيم السياسية، فسهولة استخدامها، ورخص تكلفتها، ساعدا على أن تؤدي أدواراً مختلفة في الحياة البشرية، سواء تجارية أو اقتصادية أو معلوماتية أو عسكرية أو أيديولوجية، هذا فضلاً عن أنها لم تعد حكراً على الدول فقط، وقد أصبح جلياً أن من يمتلك آليات توظيف هذه البيئة الإلكترونية الجديدة أكثر قدرة على تحقيق أهدافه والتأثير في سلوك الفاعلين المستخدمين لهذه البيئة[9].

والدولة عادة ما تترجم قدراتها على تحقيق أهدافها الخارجية من خلال استخدامها لوسائل مختلفة، أهمها الدبلوماسية والقوة العسكرية، والدعاية، والأدوات الاقتصادية، ولكن تغير الوضع فأصبح من الأمور المستقرة في العلاقات الدولية أن مصادر قوة الدولة وأشكالها تتغير؛ فإلى جانب القوة التقليدية التي تتمثل في القدرات العسكرية والاقتصادية تزايد الاهتمام بالأبعاد غير المادية للقوة، ومن ثم برز دور القوة التي تعتمد على جاذبية النموذج والإقناع.

ومع ثورة المعلومات والقدرة على إنتاج التكنولوجيا المتطورة عن طريق الاختراع والإبداع، ظهر لدينا شكل جديد من أشكال القوة؛ وهو القوة الإلكترونية، وأصبح لديها تأثير على المستوى المحلي والدولي، فمن ناحية أدت إلى توزيع القوة وانتشارها بين أكبر عدد من الفاعلين، وهو ما جعل قدرة الدولة في السيطرة على هذا المجال موضوع شك مقارنة بالمجالات الأخرى للقوة، ومن ناحية أخرى جعلت القوة الإلكترونية بعض الفاعلين الأصغر في السياسة الدولية لديهم قدرة أكبر على ممارسة القوة الصلبة والناعمة عبر الفضاء الإلكتروني، وهو ما يعني تغيراً في علاقات القوى في السياسة الدولية[10].

ويتميز الصراع الإلكتروني (Cyber Conflict) بأن به تدميراً لا تصاحبه دماء وأشلاء بالضرورة، فقد يتضمن التجسس والتسلل ثم النسف لكن لا دخان ولا أنقاض ولا

---

https://goo.gl/iHbzPr

9 المصدر نفسه، ص7.

10 المصدر نفسه، ص8.

غبار، ويتميز أطرافه بعدم الوضوح، وتكون تداعياته خطيرة، سواء عن طريق تدمير المواقع على الإنترنت ونسفها وقصفها بوابل من الفيروسات، أو العمل على استخدام أسلحة الفضاء الإلكتروني المتعددة للنيل من تلك المواقع، وهي أسلحة يسهل الحصول عليها من خلال مواقع الإنترنت أيضاً، وتعلم كيفية استخدامها، كما أن انتشار الفضاء الإلكتروني وسهولة الدخول إليه يمكن أن يوسع دائرة استهداف المواقع، بالإضافة إلى زيادة عدد المهاجمين، ولتدور تلك الهجمات المتبادلة على نحو من الكر والفر معبراً عن حالة صراع ممتد يرتبط بطبيعة الفضاء الإلكتروني المختلفة[11].

وهناك صراع إلكتروني تحركه دوافع سياسية، ويأخذ شكلاً عسكرياً، وتستخدَم فيه قدرات هجومية ودفاعية عبر الفضاء الإلكتروني، وذلك بهدف إفساد النظم المعلوماتية والشبكات والبنية التحتية، بما يتضمن استخدام أسلحة وأدوات إلكترونية من قبل فاعلين داخل المجتمع المعلوماتي، أو من خلال التعاون مع قوى أخرى لتحقيق أهداف سياسية.

وهناك صراع إلكتروني ذو طبيعة ناعمة؛ وهو صراع للحصول على المعلومات والتأثير في المشاعر والأفكار وشن حرب نفسية وإعلامية، ويكون أيضاً من خلال تسريب المعلومات واستخدامها عبر منصات إعلامية بما يؤثر في طبيعة العلاقات الدولية، كالدور الذي أداه موقع ويكيليكس في الدبلوماسية الدولية[12].

انتقل الصراع من استخدام الإعلام الإلكتروني في التأثير الإعلامي، والتجسس الإلكتروني، والصراع السياسي والاقتصادي، إلى الصراع على الفضاء الإنترنتي ذاته، أي الوسيط الذي تتحرك فيه المواقع الإلكترونية بأشكالها المختلفة.

فقد كان للتطورات المصاحبة للثورة التكنولوجية والمعلوماتية دور في بروز الفضاء الإلكتروني كساحة جديدة للتفاعلات الدولية، تتصارع فيها الدول كما في الساحات التقليدية، بصورة تعكس اختلاف الرؤى والمصالح فيما بينها. ومع ظهور الإنترنت، بصفته أحد أبرز مكونات الفضاء الإلكتروني، والتوسع في استخدامه في التسعينيات من القرن الماضي، باتت إدارته وتنظيمه من أهم القضايا التي ينشغل بها المجتمع الدولي، والتي تتصارع القوى الكبرى من أجل ضمان مصالحها فيها. ومثلما تتصدى الصين وروسيا بشكل دائم للهيمنة الأمريكية على السياسة الدولية، تحاولان ذلك أيضاً في الفضاء الإلكتروني، وفي القضايا التنظيمية كافة المتعلقة بالإنترنت أو ما يطلق

11 عادل عبد الصادق، **الفضاء الإلكتروني وأسلحة الانتشار الشامل بين الردع وسباق التسلح**، موقع مؤتمر حروب الفضاء السيبراني، (15 مايو/أيار 2015)، تاريخ الوصول للرابط 17 سبتمبر/أيلول 2017: https://goo.gl/CxgnVy

12 **المصدر نفسه.**

عليه «حوكمة الإنترنت»[13].

يشير مفهوم حوكمة الإنترنت إلى «قيام الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني، كلٌّ حسب دوره، بوضع وتطبيق مبادئ ومعايير وقواعد وإجراءات لصنع القرار، وبرامج مشتركة تشكل مسار تطور واستخدام الإنترنت»، وتجمع ما بين الجوانب التنظيمية التقنية وبين المضمون أو محتوى الإنترنت من معلومات وبيانات. وتعد حوكمة الإنترنت من أبرز القضايا الخلافية بين القوى الكبرى في العصر الحديث، خاصة بين الولايات المتحدة من ناحية وبين الصين وروسيا من ناحية أخرى؛ فكل طرف يسعى لفرض سيطرته ورؤيته بما يحقق مصالحه على القواعد المنظمة للإنترنت، والحيلولة دون هيمنة الآخر عليها، غير أن الأوضاع القائمة لا تزال في مصلحة الولايات المتحدة، ومن هنا تبرز أهم عناصر الصراع، والتي يمكن توضيحها بإيجاز فيما يلي: الصراع من أجل تعزيز سيادة الدولة، إذ ترفض بعض الدول مثل الصين وروسيا النموذج الحالي لحوكمة الإنترنت، والذي يقوم على إطار متعدد الأطراف يجمع ما بين فاعلين من الدول وفاعلين من غير الدول على قدم المساواة[14].

وتعد قضية السيطرة الأمريكية على آيكان (الهيئة التي تختص بالجوانب التقنية في تنظيم الإنترنت وإدارة ما يعرف بنظام أسماء النطاقات) من أبرز القضايا الخلافية في مجال حوكمة الإنترنت، والتي تتجلى فيها صورة من صور صراعات الهيمنة في الفضاء الإلكتروني؛ فقد أُسست آيكان في ولاية كاليفورنيا في عام 1998 بناءً على عقد مع وزارة التجارة الأمريكية، وهو ما ترتب عليه خضوع أعمالها وأنشطتها للإشراف من قبل الولايات المتحدة منذ تأسيسها، ويجد العديد من دول العالم، وعلى رأسها الصين وروسيا، في ذلك ما يهدد مصالحها بشكل مباشر، ويعزى ذلك بالأساس إلى اختلاف الرؤى بين الولايات المتحدة وبين هذه الدول في كيفية إدارة الإنترنت؛ ففي حين تدعو الولايات المتحدة لضمان حرية الإنترنت، وعدم فرض أي قيود على مستخدميه؛ على اعتبار أن ذلك حقٌ أصيل من حقوق الإنسان، نجد أن الصين وروسيا من أكثر الدول التي تفرض قيوداً على استخدام مواطنيها للإنترنت، وتفرض رقابة صارمة على المواقع التي يُسمح لهم بدخولها. ولكن تقف الصين وروسيا مغلولة الأيدي غير قادرة على نقل ما تفرضه من قيود داخلية على الإنترنت إلى المستوى الدولي؛ بسبب دور آيكان، وسيطرة الولايات المتحدة عليها، فحتى وإن استطاعت أن تمنع مواطنيها من

13 نوران شفيق، حوكمة الإنترنت: أبعاد الصراع على إدارة الفضاء الإلكتروني، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة (12 يوليو 2014)، تم الاطلاع على الرابط بتاريخ 30 يوليو/تموز 2017:
https://goo.gl/1i8Qze

14 المصدر نفسه.

الدخول لمواقع معينة، فهي لا تستطيع أن تمنع إنشاء هذه المواقع بالأساس.

ولذا كثرت الاحتجاجات الصينية الروسية في السنوات الأخيرة- مصحوبة باعتراضات من دول أخرى- على هيمنة الولايات المتحدة على آيكان، وانتشرت الدعوات المطالبة بضرورة نقل اختصاصات آيكان إلى الأمم المتحدة حتى يكون لهم دور أكبر في التأثير فيما تتخذه من قرارات بشأن الجوانب التقنية لتنظيم الإنترنت.

وبوجه عام، يمكن القول إن حوكمة الإنترنت كجزء من القضايا التنظيمية للفضاء الإلكتروني ستبقى ساحة للتنافس ما بين القوى الكبرى تعكس تباين المصالح والسياسات، وتقدم صورة أخرى من صور صراعات الهيمنة التي يشهدها العصر الحديث، ولكن في مساحة أخرى تختلف في طبيعتها وخصائصها وأنماط إدارة التفاعلات فيها عن الساحات التقليدية[15].

خامساً: مواقع التواصل الاجتماعي والدبلوماسية السياسية

فكرة الاتصال هي قلب فكرة الدبلوماسية، فالدبلوماسية تعني مخاطبة الآخر لتوضيح وجهة نظر بعينها، أو لتقديم وتعريف الذات والشخص والمؤسسة والدولة بالشكل الأكثر مثالية، ومن ثم فإن تطور التواصل وأدواته هو بالضرورة والتبعية تطور للدبلوماسية وممارساتها.

في منتصف القرن التاسع عشر تلقى سياسي أوروبي أول تلغراف، فصاح: إنها نهاية الدبلوماسية، وكان يعني بذلك أن تكنولوجيا الاتصال التي أدت إلى اختصار الزمن والمسافات قد جعلت الدبلوماسيين يفقدون أهميتهم، فهم مسؤولون- بطبيعة عملهم ووظيفتهم- عن توصيل الرسالة من بلدهم لبلد أخرى، فكيف إذن لو ظهرت أدوات وتقنية بعينها تقوم مقامهم؟

إذا كان هذا رد فعل السياسي لدى رؤيته لأثر التلغراف، فكيف سيكون رد فعله في حال رأى التداعيات التي تركتها شبكة الإنترنت، ووسائل التواصل الحديث بشكل عام؟

أسهمت التكنولوجيا بشكل واسع في تطور الدبلوماسية لتصبح هناك أشكال أخرى من الدبلوماسية التقليدية، وليظهر ما يُسمَّى بـ(الدبلوماسية الإلكترونية)؛ أي تلك الدبلوماسية المعتمدة تحديداً على وسائل التواصل الإلكتروني، وليدخل الساحة فاعلون جدد، كالناشطين الإلكترونيين بجوار السياسيين والقادة والمنظمات الخاصة، كل ذلك عبر مواقع التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيسبوك، والمدونات، وغيرها. هذا الأمر كان راجعاً للإمكانات الكبيرة التي وفرتها شبكة الإنترنت لنشر الأفكار،

15 المصدر نفسه.

وترويج المفاهيم المختلفة، وبناء العلاقات الثقافية على المستوى العالمي، وتشكيل الصور الذهنية والتأثير في الجماهير في بقاع عديدة، لم تكن الدبلوماسية التقليدية المعتمدة على الإعلام التقليدي لتصل إليها.

لذلك ظهرت مفاهيم جديدة منها: الدبلوماسية على موقع تويتر (Twiplomacy)، والدبلوماسية باستخدام الفيسبوك (diplomacy Facebook)، وهذه المصطلحات تعني أن هناك مجالات جديدة لممارسة الدبلوماسية، وأن كل دولة لا بد أن تبحث عن كيفية استغلال أدوات الإنترنت مثل وسائل التواصل الاجتماعي في ممارسة الدبلوماسية[16].

في هذا الصدد يمكن ذكر أمثلة متنوعة على كيفية استخدام الإنترنت وأدواته في الدبلوماسية السياسية، ومدى تأثر الأخيرة بالتطور التقني الهائل في أدوات التواصل الحديثة.

على سبيل المثال، تثير حالة نجاح الدبلوماسية العامة الإسرائيلية في اكتساب الدعم والتأييد الغربي لإسرائيل، مقابل تدهور صورة العرب والمسلمين في الخارج- وهي الصورة التي تعززها ممارسات الحكومات أو تنظيمات عنيفة مسلحة أو غيرها- تساؤلات عن مدى قدرة دولة وليدة كإسرائيل على فرض نفوذها على العالم الغربي من منطلق القوة الاقتصادية والإعلامية، بل وأن تذهب إلى أبعد من ذلك في محاولة لإدارة عداء الشعوب العربية المتوارث نحوها، عبر الإنترنت والشبكات.

يمكن الحديث هنا، كمثال، عن عدة صفحات على الإنترنت من خلالها تحاول إسرائيل تلميع صورتها، وشرح وجهة نظرها حيال الممارسات التي تقوم بها، مثل صفحة (إسرائيل بالعربية)، وصفحة المتحدث الإعلامي للجيش الإسرائيلي، أفيخاي أدرعي، وغيرها من الصفحات العربية الموجهة للداخل الفلسطيني- حيث عرب 48 والفلسطينيون الموجودون في القطاع أو الضفة- وموجهة أيضاً للشعوب العربية في محاولة لخلق شرعية إما للممارسات العنيفة اليومية الموجهة ضد المواطنين الفلسطينيين، أو القرارات الاستراتيجية التي تتخذها الحكومة الإسرائيلية، أو لمحاولة خلق جسر ثقافي بينها وبين الشعوب العربية، لكسر الحاجز النفسي، وهو الأمر الذي تلح عليه وسائل الإعلام بشكل دائم.

وفي هذا الإطار، استمدت الدبلوماسية العامة الإسرائيلية من الدعاية أهم مرتكزاتها؛ وهي الدراسة الواعية لخصائص الشعوب في الدول المستهدفة، والتخطيط الفكري للتعامل النفسي معهم، فعلى سبيل المثال تعد الشعوب العربية شعوباً متدينة بطبيعتها، على العكس من الشعوب الغربية، ومن ثم تراعي وزارة الخارجية الإسرائيلية في صفحة الفيسبوك الموجهة للعرب إظهار الجانب الديني والإيمان

16 سليمان صالح، **استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في الدبلوماسية العامة**، جامعة القاهرة، القاهرة، ص 2، بدون تاريخ:
https://goo.gl/bS3XGp

بـالله، والتهنئـة بالأعيـاد الإسـلامية والمسـيحية، وفـي المقابـل يركِّز مضـمون الصـفحات الاجتماعيـة الموجهـة للغـرب علـى المبادئ العامـة والقـيم الأخلاقيـة كالصـدق والإنسـانية والتسـامح والعدالـة[17].

فـي سـياق متصـل، أظهـر تقريـر مؤسسـة (Molad) البحثيـة الإسـرائيلية زيـادة فـي اهتمـام الدبلوماسـية العامـة الإسـرائيلية بالعـالمين العربـي والإسـلامي، بخاصـة عقـب حـرب لبنـان 2006، التي أظهـرت فيهـا المنظمـات المعاديـة لإسـرائيل، مثـل حـزب الله وحمـاس، قـدرة كبيـرة علـى اسـتخدام التكنولوجيـا كسـلاح لتشـويه الكيـان الصـهيوني، وهـو مـا دفـع بالحكومـة الإسـرائيلية إلـى تطـوير قنـوات الاتصـال مـع الجمهـور العربـي والمسـلم عبـر توجيـه النـاطقين والمتحـدثين باللغـة العربيـة لشـرح وجهـات النظـر الإسـرائيلية فـي قنـوات الجزيـرة، وروسـيا اليـوم، والعربيـة، وفـرانس 24، بل وإضافـة اللغتـين العربيـة والفارسـية إلـى المواقـع الإلكترونيـة وصـفحات فيسـبوك وتـويتر ويوتيـوب التابعـة للمؤسسـات الحكوميـة الإسـرائيلية مثـل رئاسـة الحكومـة ووزارات الـدفاع والخارجيـة والسـفارات التابعـة لهـا[18].

كمـا أنشـأت الحكومـة الإسـرائيلية فـي عـام 2009 وزارة للدبلوماسـية الشـعبية وشـؤون الشـتات، وتمثلت وظيفتهـا الرئيسـة فـي حشـد المتطـوعين وتـدريبهم للدفـاع عـن إسـرائيل في أثنـاء الأزمـات، ومواجهـة حمـلات الإعـلام الرقمـي المناهضـة لهـا، والتفاعـل علـى الشـبكة العنكبوتيـة ضـد أي محاولـة للنيـل مـن صـورتها وسـمعتها، فضلاً عن ذلك اسـتفادت الدبلوماسـية العامـة الإسـرائيلية مـن التفـوق الاقتصـادي والسياسـي لليهـود فـي جميـع أنحـاء العـالم، وارتبـاط أهـدافهم وحيـاتهم بقيـادة دولـتهم فـي إسـرائيل، فـي إنشـاء برنـامج جديـد يقـوم علـى إعـادة تسـويق صـورة إسـرائيل كمـا تسـوق العلامـات التجاريـة، ويهـدف هـذا البرنـامج إلـى الدعايـة والتـرويج لأبعـاد القـوة الذكيـة التـي تتميـز بهـا إسـرائيل والمرتبطـة بالتقـدم العلمـي والتكنولـوجي والاقتصـادي، والتفـوق العسـكري، ونمـط الحيـاة والثقافـة ودور الدولـة فـي تحقيـق السـلام والعدالـة الاجتماعيـة والديمقراطيـة[19].

الولايات المتحدة الأمريكيـة هـي الدولـة الأكثـر براعـة في اسـتخدام الإعـلام بكل أنواعـه في تحسـين صورتهـا بشـكل كبيـر للغايـة، الدولـة الأكبـر سياسـياً واقتصاديـاً هـي الرائـدة في اسـتخدام الإعـلام لخلـق نفـوذ قـوي لهـا داخـل عقـول مواطنـي الـدول الأخـرى، شـرقاً وغربـاً.

17 آلاء فوزي السيد عبد اللطيف، **الاستراتيجيات الاتصالية للدبلوماسية العامة الإسرائيلية عبر الإنترنت (رسالة ماجستير)**، كلية الإعلام بجامعة القاهرة، 2015، ص 2.

18 ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، 2.

19 المصدر نفسه، ص 3.

إذا حاولنا أخذ نماذج من ثلاث مؤسسات مهمة تخاطب العالم العربي مثل صفحات السفارة الأمريكية بالقاهرة، ومنظمة هيومن رايتس ووتش، وقناة الحرة الأمريكية على موقع فيسبوك، نلاحظ أن هذه الصفحات تركز على هذه الأبعاد المرتبطة بالخصائص العامة والمميزة للدولة؛ مثل الهيكل السياسي والاجتماعي والثقافي والقانوني والإعلامي، والتي تؤثر بدورها في تنفيذ برنامج العلاقات العامة التي تنفذه الصفحات التابعة لهذه المؤسسات لخلق صورة ذهنية ما تحاول إيصالها للجمهور الذي تريد توصيل رسالته إليه[20].

أظهرت نتائج تحليل دراسة أجرتها باحثة من كلية الإعلام بجامعة القاهرة، ميلاً واضحاً من قبل السفارة الأمريكية بالقاهرة وقناة الحرة الأمريكية نحو بناء أرضية مشتركة مع الجمهور العربي، من خلال التركيز على استخدام مقولات بعينها ترتبط بالثقافة العربية والإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك استخدام تحية الإسلام «السلام عليكم»، وفيديو بعنوان (معهد لتعليم اللغة العربية في ولاية جورجيا) لتوضيح مدى الاهتمام بمقومات الهوية العربية، وتشجيع الآخرين من العرب والأجانب على تعلم اللغة العربية، وصورة كان التعليق عليها هو «سُميت بعض المساجد في الولايات المتحدة بأسماء مساجد أو شخصيات تاريخية إسلامية مشهورة؛ كمسجد الفاتح في بروكلين بمدينة نيويروك»، لتوضيح مدى الاهتمام بالعرب، ولإظهار مستوى المعاملة المتساوية التي يشعر بها المسلمون في الولايات المتحدة، كما حرصت المؤسستان السياسية والإعلامية على تقديم التهنئة في المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف وعيد الفطاس المسيحي، كذلك تركز صفحات هذه المؤسسات على الجوانب الشخصية والأسرية والاجتماعية، للترويج لصورة الولايات المتحدة بوصفها المدافع الأول عن حقوق الإنسان والحريات في العالم أجمع[21].

سادساً: الإعلام الإلكتروني.. سلطة المؤسسات والأفراد

منذ بداية الثورات العربية استخدم مصطلح (ثورات الفيسبوك) للدلالة عليها، إذ أدَّت موقع التواصل الاجتماعي دوراً كبيراً في تحريك التظاهرات داخل الشارع العربي، وهو ما دفع الباحثين للنظر بعين الاعتبار والفحص والتدقيق لهذه الوسائل عقب (الربيع العربي).

بعض الباحثين يرجع دور الإعلام التواصلي إلى سنوات ما قبل الثورات التي اندلعت في 2011، ويسلطون الضوء على المدونات التي أطلقها عدد كبير من النشطاء

20 ثريا أحمد البدوي، **الجهود التسويقية للدبلوماسية العامة الأمريكية عبر شبكات التواصل الاجتماعي: دراسة تحليلية لخطابات القائمين بالاتصال والمستخدمين**، مجلة رؤى استراتيجية، أبريل/نيسان 2015، ص 104.

21 المصدر نفسه، ص 105.

لخلق مساحات للتعبير عن آرائهم السياسية والدينية التي لا يجدون لها مساحات في الإعلام الرسمي بمختلف أشكاله، وأصبحت مواقع الإنترنت المختلفة؛ بدءاً من المدونات والمنتديات حتى مواقع التواصل الاجتماعي، أشبه بمنتديات شبه واقعية يستطيع الناس من خلالها مناقشة الأفكار والآراء حول مختلف الموضوعات الاجتماعية في ظل غياب السياسة، وقمع الفاعلين السياسيين والاجتماعيين، وقفل قنوات التعبير التقليدية.

ولا ريب أن الأنظمة العربية لم تضع في حساباتها أنّ الإنترنت وخدماته ستخلق جيلاً من المدونين والنشطاء ينتقدونها ويقفون ضد الانتهاكات المختلفة التي تحدث في البلدان العربية، حيث كانت هذه المواقع أشبه بثورات افتراضية مهدت لثورات حقيقية، قبل أن تدرك هذه الأنظمة أهمية التعامل باستراتيجيات مضادة لهذا الطوفان الذي انفتح عليها .

بدأ التدوين على الإنترنت أواخر في 1999، إلا أنه بدأ ينتشر ويظهر تأثيره منذ 2003 مع بدء الحرب الأمريكية على العراق. أما المدونات العربية فبدأت بالظهور في 2004، وزاد انتشارها وتأثيرها بدءاً من 2005، الذي تزامن مع بدء حراك سياسي في المنطقة، وبدء ارتفاع الأصوات المطالبة بالتغيير والإصلاح، وقد كان للمدونين فيه دور بارز، وشاركوا بقوة في الدفع نحو التغيير وزيادة الوعي السياسي. ثم إن هذا الدور أصبح متضخماً وتجاوز بمراحل دور أحزاب ومجموعات سياسية قديمة فرضت حضورها الرمزي غير الكفيِّ لسنوات عديدة، ليأتي جيل صغير تتحول مساهمته من خلال الصفحات الشخصية، والمدونات، ومواقع التواصل الاجتماعي، إلى ما يشبه أحزاباً صغيرة لها قدرة كبيرة على الحشد والتعبئة في التظاهرات. وقد أسهم هذا النمط الجديد من الإعلام في ظهور الصحفي المواطن المشارك الفعال في العملية الإعلامية بوجوده الآني واللحظي في الحدث، واشتباكه معه، ومن ثم مشاركته مع مواطنين آخرين.

في مصر على سبيل المثال، وخلال الفترة بين 2005 و2010 أتاحت المدونات الإلكترونية، ومن بعدها شبكات التواصل الاجتماعي، للإعلام فضاءً يتسم بقدر من الحرية بعيداً عن سيطرة الدولة، وهو ما مكن مجموعات النشطاء الحقوقيين والسياسيين المعارضين من إلقاء الضوء على الانتهاكات التي كانت تمارسها مؤسسات الدولة - وبخاصة الشرطة- تجاه المواطنين. تحولت حينها شبكات التواصل الاجتماعي لتكون مصدراً للمعلومات التي لا تسمح الدولة بها في وسائل الإعلام، كما عملت على تحفيز حالة من النقاش أسهمت في تكوين وعي معارض للرواية الرسمية التي تصدرها مؤسسات الدولة.

كان لهذا الوعي المعارض الإسهام الأكبر في حشد الطليعة الأولى التي خرجت للتظاهر ضد قمع الشرطة وتعذيب المواطنين في 25 يناير/كانون الثاني 2011. تلك المظاهرات وما تلاها من أحداث كانت كفيلة بأن ينتبه الجميع- سواء مؤسسات الدولة أو المجموعات السياسية المختلفة؛ مؤيدة أو معارضة- للدور الذي يمكن أن تضطلع به أدوات التواصل الاجتماعي في الحشد وتعبئة المواطنين، فبدأت كل مجموعة بإيجاد

مساحاتها ومنصاتها التي تعبر فيها عن أفكارها، وتتواصل من خلالها مع مؤيديها، وتعمل على توسيع قاعدتهم. ولكن لم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، إذ بدأ يتواتر طوال السنوات الماضية بأن هناك (لجاناً إلكترونية)، أو مجموعات منظمة تعمل عبر شبكات التواصل الاجتماعي إما لنشر أخبار، سواء صحيحة أو كاذبة، وآراء بعينها، وتهاجم آراء أخرى ظناً منها أنها تؤثر وتوجه الرأي العام الذي تكونه وسائل التواصل الاجتماعي[22].

مع الوقت زاد بشكل كبير حجم التفاعل العربي مع شبكة الإنترنت، ليتطور هذا التفاعل بشكل أكبر مع ظهور (مواقع التواصل الاجتماعي)؛ مثل تويتر وفيسبوك وغيرها، والتي كان لها دور فاعل كما سيأتي في ثورات الربيع العربي.

في ثورات الربيع كسر الإعلام الإلكتروني احتكار الأنظمة السياسية للصورة واللقطة المُعبرة والمونتاج السياسي، ومع الإعلام الإلكتروني سقطت إلى حد كبير سردية الإعلام الموجه، فعدد القنوات المعبرة عن الشارع صار بحجم وبعدد النضالات والاحتجاجات التي توجد بداخله، لتصبح (النيوميديا) سلاح المستضعفين والمقهورين، واللعنة التي وقعت على رأس الأنظمة السياسية من حيث لا تدري[23].

مارس فيسبوك دور الحزب البديل في الوقت الذي سقطت فيه الأحزاب السياسية الكلاسيكية، وعجزت عن أداء أي دور حقيقي وفعلي في الشارع السياسي. وكان لـ(فيسبوك) و(تويتر) وبقية المواقع الإجتماعية أدوار الحزب السياسي تقريباً، بدءاً من الاستقطاب المليوني للأعضاء، مروراً بعمليات التوعية والترشيد عن طريق المجموعات والصفحات والتعليقات والدعوات، أما فكرة الحشد فتتم عن طريق صفحة (فيسبوكية) يتعدى عدد أعضائها عدد أعضاء كل الجماعات والأحزاب السياسية، أو (تغريدة) على موقع تويتر تذهب لآلاف الناشطين في آن واحد. وقد صارت عمليات التنسيق والتخطيط وتحديد مواعيد التظاهرات والاعتصامات تجري بالأساس من خلال هذا العالم الافتراضي، إذ تلاشت أو تضاءلت فكرة البيانات والمنشورات الورقية بشكل كبير لحساب بيانات على الإنترنت تَحشِد الآلاف في أقل من دقائق.

إن عملية الترابط الجمعي والانتماء لمنظومة سياسية عُوِّض عنها في العالم الافتراضي بفكرة الأصدقاء والمجموعات (الجروب) التي تخلق مساحات تواصل حتى خارج منطقة الاختلاف الأيديولوجي والسياسي والثقافي[24].

22 Ahmed A, Hussien, Yassin Mohamed, The status of Social and Political Activism in Egypt after June 2013 (A study under publication), Institute of Development Studies, London, 2017, Page 5.

23 أحمد عبد الحميد حسين (محرر وآخرون)، **يوميات الثورة المصرية**، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2011، ص 4.

24 المصدر نفسه، ص 5.

نديم منصوري يشرح بشكل أكثر تفصيلاً لماذا كان لموقع فيسبوك تحديداً دور مهم في تحريك الشارع العربي في 2011، في دراسته المهمة (دور الإعلام التواصلي الجديد في تحريك الثورات العربية)، فيتحدث عن أن للفيسبوك مميزات عديدة جعلته الوسيط الأفضل بالنسبة إلى الثوار والمساعد في تحريك ثورتهم، منها:

1- ميزة الاتصال السريع.

2- الأوفر.

3- سهولة الاستخدام.

4- شبابي.

5- متعدد اللغات.

6- حضوره الدائم (وخاصة من خلال خدمات الهاتف النقال).

7- عالمي.

8- قدرته على التعبئة.

9- التوقع المسبق للحركة.

10- خارج إطار السلطة السياسية.

11- ديمقراطي.

كل هذه المميزات وغيرها جعلت من الفيسبوك أداة أساسية في الضغط وتصويب الهدف والنجاح في إسقاط الأنظمة. وسنتوقف عند ثلاث مميزات أساسية، بالرغم من أهمية المميزات الأخرى:

1- ميزة الاتصال السريع: من أهم مميزات الفيسبوك نقل الخبر بسرعة فائقة وآنية، وإمكانية التفاعل مع الخبر والتعليق عليه، وتبادل الرسائل والأفكار والآراء، ونقل الصور والفيديوهات والتعليق عليها؛ فأي حدث يحصل في الشارع لا يحتاج إلا إلى بضع دقائق ليصبح محوراً نقاشياً مدعماً بالصور والفيديوهات والتصريحات والبيانات، ولتتوالى بعدها ردود الفعل والتعليقات والاقتراحات والدعوات إلى الاحتجاج والتظاهر، ومن ثم نقل المحور النقاشي الافتراضي إلى أرض الواقع بعد تحديد الزمان والمكان والشعارات بما يتناسب مع حجم الحدث وظروف نشأته. كما أن هذه الميزة التواصلية ألغت الحواجز الجغرافية والزمانية، وجعلت الفضاء الإلكتروني فضاءً مشتركاً للحوار، بالرغم من اختلاف الأمكنة والأزمنة، لأنّ الفيسبوك يسمح للحوارات بأن تحدث في لحظات مشتركة بين المستخدمين، على الرغم من اختلاف الأوقات أو الأزمنة المحسوبة بين الأمكنة المتباعدة. كما أنّ ما يميّز فيسبوك أنّه وسيط تواصلي

وتفاعلي يجعل من كل مشترك متلقياً للخبر وصانعه في وقت واحد، ما يسمح لأي متصفح بأن يتابع الأحداث، لا في بلده وحسب بل في أي بلد في العالم، والتعرف على مجريات الأحداث لحظة بلحظة، مدعمة بالصور والفيديوهات والتعليقات أينما كان وفي أي وقت. كما أنّ سرعته في نقل الأخبار تسمح للأحزاب والقوى الفاعلة بتحريك التظاهرات وتوصيل آرائها وصوتها بسرعة كبيرة تخدم التحركات الشعبية وتساعدها على تحقيق أهدافها[25].

2- شبابي: من خلال متابعة الإحصاءات التي يشير إليها موقع (Socialbakers) حول استخدامات الفيسبوك إحصائياً في أكثر من مئتي دولة، يتبيّن أنّ الموقع الشهير في العالم العربي هو تقنية شبابية بامتياز. ففي مصر 95% من مستخدمي الفيسبوك تتراوح أعمارهم ما بين 13 و44 سنة، وكذلك في اليمن 96%، وفي فلسطين 96%، وفي العراق 94%، وفي تونس 93%، وفي ليبيا 93%، وفي البحرين 93%... هذا ما يدل على أنّ من يتحاور ويتفاعل ويشارك ويتحرك في الفضاء الإلكتروني هم الشباب، وهذا ما يجعل ثورتهم ناجحة، إذ إنّ أي ثورة تغييرية تحتاج إلى قدرات الشباب وحماستهم. وقد أسهم الفيسبوك في أن يكون أداة ثورية لهذه الفئات العمرية، لكن من اللافت تفاوت مستخدمي الفيسبوك بين الذكور والإناث، إذ لا تزال نسبة الإناث متدنية في العالم العربي مقارنة بالذكور من جهة، ومقارنة بالدول المتطورة من جهة أخرى[26].

3- قدرته على التعبئة: يستطيع المستخدم من خلال الفيسبوك أن يستثمر جيداً قدرته على تعبئة الجمهور من خلال المميزات التي يتسم بها (النص - الرسالة القصيرة - الصورة - الفيديو - التعليقات - الإعجاب بفكرة (Like) - إنشاء صفحات خاصة حول أي فكرة أو حدث (Events) ...)، وقد استفاد شباب الثورة من كل هذه الخدمات، حيث رفعوا الشعارات التي تحرك روح الثورة والغضب والاحتجاج في نفوس المتظاهرين، وعملوا على نشر الصور والفيديوهات التي تنقل الأحداث بلحظتها، وتحافظ على نبض الشارع وحماسته، وحرصوا على توحيد جمهورهم الافتراضي من خلال طلب توحيد الصورة التعريفية للمشترك (Profile) من أجل زيادة الشعور بالتوحد على أنهم شخص واحد في الفضاء العالمي، ونشروا المقالات التي تسهم في زيادة وعي الجمهور وكشف فضائح الأنظمة السابقة والطبقة الحاكمة؛ بسرقة أموال الدولة، أو ارتكاب الجرائم بحق المواطنين، أو عقد الاتفاقيات بما يخدم مصالحهم الشخصية، وقد ساعد ذلك على توعية الجمهور المغترب عن وطنه ودفعه إلى التظاهر أمام سفارة بلده احتجاجاً على ما يحدث في وطنه الأم، ما عزز روح التضامن بين المواطنين كافة (المقيمين - والمغتربين - والافتراضيين). كما حددوا مناصري ومؤيدي الثورة ومن هم ضدها، فقد

25 نديم منصوري، دور الإعلام التواصلي الجديد في تحريك الثورات العربية، ورقة قدمت لمؤتمر (الانتفاضات العربية: مقاربات سوسيولوجية ومقارنات جغرافية) بالجامعة الأمريكية، بيروت، مارس/آذار 2012:
https://goo.gl/S2xDc8

26 المصدر نفسه، ص 5.

ضمت صفحة باسم (Black list of enemies of the revolution القائمة السوداء لأعداء الثورة)، أسماء سياسيين وفنانين وإعلاميين ورياضيين ممن عارضوا الثورة وأيدوا الأنظمة، في مصر وتونس وسوريا وغيرها، وبالمقابل ظهرت صفحات للمؤيدين للثورة الشعبية، ومنها صفحة حملت عنوان (القائمة البيضاء للفنانين والمشاهير المؤيدين للثورة الشعبية).

ولم تخلُ الروح الشبابية من توجيه الرسائل من خلال تأليف النكت اللاذعة على الحكام أو رسم الصور الكاريكاتورية، ولا سيما في مصر وليبيا وسوريا، كذلك العبارات التي كانت تكتب على صفحات الفيسبوك وعلى لافتات الميادين والساحات في آن معاً. كل ذلك أسهم في تعبئة الجماهير والسير قدماً بخطوات ثابتة نحو التغيير وتحقيق ما كان من الصعب تحقيقه. لقد عرف مستخدمو الفيسبوك أن يستفيدوا جيداً من هذه الوسيلة الإعلامية والاتصالية لتكون أداة ثورية تخدم قضيتهم[27].

ومع إخفاق ثورات الربيع العربي وانحسارها لأسباب ذاتية وموضوعية، مثل ضعف الأحزاب والتنظيمات السياسية المدنية وتفككها، والتدخلات الخارجية الإقليمية والدولية، والانقلابات العسكرية، كل ذلك مهد لنشأة تنظيمات إسلامية (راديكالية)، وكان أبرزها وأهمها تنظيم الدولة (داعش)، الذي استطاع أن يسيطر على مساحات شاسعة في سوريا والعراق، وأن يثير ذعر دول عديدة بمكاسبه العسكرية السريعة، والأهم الرسائل الإعلامية التي استخدم فيها وسائل التواصل الاجتماعي بدرجة احترافية عالية للغاية، حيث وثق الكثير من عمليات قتله للجنود والرهائن أمام الكاميرا مباشرة، وهو ما كان عاملاً لإطلاق حملات حشد عسكرية ضده، وإثارة الخوف والقلق من التمدد الإسلامي في أوروبا، لكن أبرز تداعيات رسائله الإعلامية الإلكترونية هو سحب البساط من تحت التنظيمات الثورية السورية، بل فقدان الثورة السورية للتعاطف نتيجة أنها وضعت العالم أمام خيارين: إما التغاضي عن نظام بشار الأسد وجرائمه للوقوف أمام التمدد الداعشي، أو محاصرة بشار وترك داعش يكسب مزيداً من الأراضي. ومن ثَم فقد أهدى تنظيم داعش لبشار وللحكومة العراقية المتطرفة هدية مجانية بحشد الفاعلين مختلفي المشارب ضده، حتى ناء بخسارات فادحة بسوريا والعراق، لكن الخسارة الكبرى كانت للثورة السورية، وللربيع العربي بشكل عام.

لكن مع ذلك فإن إخفاق ثورات الربيع العربي في تحقيق أهدافها يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية عديدة، ومن بينها ضعف وتفكك الأحزاب السياسية المدنية، وعدم وجود قاعدة شعبية وجماهيرية لها، فضلاً عن عدم تنظيمها. هذه الأوضاع مهدت أيضاً لظهور تنظيمات أكثر تطرفاً، ومنها تنظيم الدولة الذي حقق انتصارات هائلة وتمكن من السيطرة على قطاعات ومدن واسعة، كما أنه أثار الرعب في قلوب العالم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، التي أظهر مهارة في استخدامها لتوثيق عمليات قتل الجنود والرهائن بطريقة احترافية، وكذلك لتجنيد الشباب.

27 المصدر نفسه، ص 7، 8.

كان الإنترنت أداة جيدة للغاية لتجنيد أعضاء جدد لتنظيم الدولة، فضلاً عن استخدامه كوسيط إعلامي لنقل أفكاره ورسائله وعملياته إلى العالم، وقد كانت خبرة داعش الإعلامية مثار اهتمام واسع من المحللين والباحثين والمهتمين، بل حتى الأفراد العاديين الذين تأثروا بالتجربة، وانبهروا بها نتيجة للاحترافية والمهنية والكفاءة العالية التي أدارت بها داعش منظومتها الإعلامية، والتي كانت تعتمد بشكل أساسي فيه على شبكة الإنترنت.

الحقيقة أن تنظيم الدولة (داعش) قد استطاع بشكل جيد توظيف الظروف والديناميكيات المحلية، وحالة عدم الاستقرار (جزء منها نتج عن انحسار الربيع العربي وعدم قدرته على بلورة أي بديل يمكن أن يطرح للجماهير على أنه بديل ديمقراطي حقيقي) لخدمة أهداف التنظيم القائمة على أسس أيديولوجية (متطرفة).

على المستوى الإجرائي والتنظيمي استطاع تنظيم الدولة تسويق خطابه بشكل أكثر من جيد من خلال مسارات ووسائل مختلفة، أبرزها الإنترنت، بقنواته المتعددة مثل اليوتيوب ومواقع التواصل الاجتماعي كفيسبوك وتويتر، حيث كان للخطاب المؤثر لتنظيم الدولة عبر الإنترنت دور كبير في التجنيد، خصوصاً من خارج المنطقة العربية، لذا تجاوز تنظيم الدولة طرق التجنيد التقليدية مثل الاعتماد على التجنيد من خلال الحلقات المسجدية، أو العمل التطوعي الدؤوب في القطاعات الفقيرة والمهمشة، ومن ثم لم يقتصر الخطاب على جذب مجموعات محلية فقط، وإنما كان جاذباً أيضاً، وبشكل كبير، لأفراد عرب مسلمين من المنطقة العربية، فوصل أفراد حتى من أقصى المغرب العربي؛ من تونس وموريتانيا والجزائر، وتعدى الأمر إلى وفود أفراد من خارج المنطقة العربية، ليس فقط من الأماكن المسلمة مثل أفغانستان والبوسنة والشيشان وغيرها، وإنما من أوروبا والولايات المتحدة وأستراليا وغيرها من البلاد الغربية، فالتقارير الصحفية تتحدث عن عضويات واسعة من شباب وشابات غربيين ينضمون إلى تنظيم الدولة، وكلها تيارات لم تتوقف، والتقارير والتحليلات ترصد تزايداً مطرداً وغريباً لتنظيم يتبنى خطاباً غاية في الراديكالية بأسباب متنوعة ومختلفة.

سابعاً: الخلاصة

مثلت الثورة التكنولوجية المطردة التي شهدها العالم خلال السنوات الأخيرة في القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين عاملاً نوعياً عمل على إحداث تغييرات كبيرة على مستوى الصراعات الدولية، والإعلام بنوعيه المحلي والدولي، وأبرز تحولات جديدة للغاية سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي والسياسي.

أثرت التكنولوجيا الحديثة والفضاء الإلكتروني على مفهوم القوة وخصائصها وتحولاتها، وتطور العالم تطوراً مخيفاً في الصراعات الدولية مع تطور مراحل النضج التكنولوجي من فترة إلى أخرى. ومع ظهور الإنترنت أصبح الإعلام الإلكتروني إحدى

الأدوات المهمة التي لها دور كبير في عمليات التعبئة والحشد، امتدت من توجيه الرأي العام نحو قضايا بعينها، داخل مسار جديد للإعلام، ليتطور الأمر للحشد والتعبئة السياسية، وليسهم الإعلام الإلكتروني من ثم في تغييرات جذرية سياسية واجتماعية.

استطاع الإعلام الإلكتروني، بالخصوص مواقع التواصل الاجتماعي، أن يمارس دوراً مؤثراً في انتفاضات الربيع العربي التي انطلقت في شوارع دول عربية في العام 2011 متأثرة بالدعوات التي أطلقها ناشطون عرب ضد الممارسات السلطوية والاستبدادية لبعض الأنظمة العربية.

انتقل الصراع من استخدام الإعلام الإلكتروني في التأثير الإعلامي، والتجسس الإلكتروني، والصراع السياسي والاقتصادي إلى الصراع على الفضاء الإنترنتي ذاته، أي الوسيط الذي تتحرك فيه المواقع الإلكترونية بأشكالها المختلفة عبر ما يعرف بالحوكمة الإلكترونية.

المراجع

أولاً- المراجع العربية

أحمد عبد الحميد حسين (محرر وآخرون)، يوميات الثورة المصرية، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.

إيهاب خليفة، القوة الإلكترونية وأبعاد التحول في خصائص القوة، سلسلة أوراق، مكتبة إسكندرية، إسكندرية، العدد رقم 12، ص 7، 2014: https://goo.gl/iHbzPr

سميرة شيخاني، الإعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، سوريا، المجلد 26- العدد 1 و2، 2010.

عادل عبد الصادق، الفضاء الإلكتروني وأسلحة الانتشار الشامل بين الردع وسباق التسلح، موقع مؤتمر حروب الفضاء السبراني، (15 مايو/أيار 2015)، تاريخ الوصول للرابط 17 سبتمبر/أيلول 2017: https://goo.gl/CxgnVy

عبد اللطيف حمزة، أزمة الضمير الصحفي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.

معتصم مهدي أبو شتال، دور برامج الإعلام في تنمية الوعي الأمني ومكافحة الإرهاب (المعوقات والتحديات)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 25 يونيو/حزيران 2012.

نديم منصوري، دور الإعلام التواصلي الجديد في تحريك الثورات العربية، ورقة قدمت لمؤتمر (الانتفاضات العربية: مقاربات سوسيولوجية ومقارنات جغرافية) بالجامعة الأمريكية، بيروت، مارس/آذار 2012: https://goo.gl/S2xDc8

نوران شفيق، حوكمة الإنترنت: أبعاد الصراع على إدارة الفضاء الإلكتروني، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة (12 يوليو/تموز 2014)، تم الإطلاع على الرابط بتاريخ 30 يوليو/تموز 2017: https://goo.gl/1i8Qze.

ثانياً- المراجع الأجنبية

Ahmed A, Hussien, Yassin Mohamed, The status of Social and Political Activism in Egypt after June 2013) Institute of, Development Studies, London, 2017, Page 5.

Everette E. Dennis "and others", media use in the middle east, Northwestern University website (2015) check the link at, 12 September 2017: https:// goo.gl/M7LuE6 Page 19.

مركز الفكـــر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعِدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتنمية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

الإسهام في نشر الوعي الثقافي.

قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.

التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.

مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.

التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.

تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.

إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.

رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

١. **الأبحاث والدراسات:**

حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص

المركـز، وهـي:

- الدراسات السياسية.
- الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.
- الدراسات الحضارية والتنموية.
- دراسات الفكر الإسلامي.

٢. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدِّد المهارات.

٣. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.

مركز الفكـــر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

Akat Mah, Hare Sk. No: 15
Beşıktaş / Istanbul

+90 535 320 46 03
+90 212 801 01 25

www.fikercenter.com
info@fikercenter.com
publish@fikercenter.com

fikercenter